الحمد لله العفوِّ الكريم، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، صاحب الخُلُق العظيم، وعلى آله وصحابته والتَّابعين، وبعد..

فإنَّ الإسلام ندب إلى العفو، وحبَّب التَّواضُع، وجعل لمن يتمثل بهما خُلَّة ورفعة في الدُّنيا والآخرة، فالتَّواضُع خُلُق حميد، وجوهرٌ لطيف يستهوي القلوبَ، ويستثير الإعجاب والتَّقدير وهو من أخصِّ خصال المؤمنين المتَّقين، ومن كريم سجايا العاملين الصَّادقين، ومن شِيَم الصَّالحين المُخبِتين، فالتَّواضُع هدوءٌ وسكينةٌ ووَقار واتِّزان، وهو ابتسامةُ ثَغرٍ وبشاشةُ وجهٍ ولطافةُ خُلُقٍ وحُسنُ معاملةٍ، بتمامهِ وصفائِه يتميَّز الخبيثُ من الطَّيِّب، والمُخلِصُ من غيره، كما أنَّ العفو والتَّسامح والتَّغاضي عن زلَّة المُخطِئ خُلُقٌ رفيعٌ وإحساسٌ مُرهَف ينمُّ عن تربيةٍ إيمانيَّة جادَّة للنَّفس وصقلٍ لطباعِها، إنَّه القوَّة التي عجز أن يمتلكها الكثير من النَّاس الذين أخذتْهم العزَّة بالإثم عن النَّظر في المعنى السَّامي لها، وأيُّ شَرَف يمتلكه الإنسان وهو بعيد عن هذه المعاني النَّبيلة؟! بل أيُّ مجدٍ يرتقيه وهو ينظر للأفق من زاوية السِّيادة بغضِّ النَّظر عن المعاني الإنسانية!

قال ﷺ جامعًا بين فضيلتَي: العفو والتَّواضُع معًا، عن أبي هريرة مرفوعًا:(١) "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ"، وقد بوَّب عليه النَّوويُّ في شرحه على صحيح مسلم بقوله: "استحباب العفو والتَّواضُع"، وقد حثَّ القرآن الكريم على العفو والتَّواضُع، وجعل العفو مقترنًا باسم الله العفو، وحذَّر من التَّكبُّر والتَّعالي، لأنَّ التَّكبُّر من صفات الله تعالى اللائقة بجلاله عزَّ وجلَّ.

وللقرآن الكريم طريقة أخَّاذة في توجيه السُّلوك، وتطهير النُّفوس، والحثِّ على ما ترضاه الفطرة السَّليمة، دون إكراه لأحد، أو إثارة لعناد، بعبارة بليغة، وألفاظ منتقاة، وتلاؤم بين السِّياقات، ممَّا يحدو بالإنسان العاقل أن يُذعن لأمره، وأن يكفَّ عمَّا نهاه عنه، ومن هذا المُنطلَق، ولقُرب هذا الموضوع من نفسي، كان اختياري له، -بعد اقتراح مشرفتي-، فضلاً عن رغبتي في تزويد نفسي بقدر من العلم فيه لما لهذَيْن الصِّفتَيْن من أثر على الفرد والمجتمع في إشاعة الحبِّ والفضيلة ونبذ الأنانية والرَّذيلة.

أمَّا موضوع البحث فيبرز من خلال الآيات القرآنيَّة التي جاءت موجِّهة للعفو والتَّواضُع بين النَّاس من النَّاحية البلاغيَّة.

هذا وقد احتوى القرآن على ثماني آيات للتَّوجيه إلى التَّواضُع، وأربعة وثلاثين آية لمعاني العفو المتعدِّدة، منها: عفو الجلالة، واسم الله العفوِّ.

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (٤/ ٢٠٠١ رقم ٢٥٨٨).

وسيتناول البحث من الآيات ما دلَّ على العفو والتَّواضُع بين النَّاس، وما وجَّه إليه، والآيات التي اقترن فيها العفو مع الصَّفح، وما جاء فيها العفو بمعنى: الإعفاء، ويُظهر عددُها عشرين آيةً؛ ليصبح مجموع آيات الدِّراسة ثمانية وعشرين آيةً، وذلك من خلال توظيف علوم البلاغة الثَّلاثة: (علم المعاني، علم البيان، علم البديع) بما احتوته من فنون مختلفة قلَّما تتوفَّر جميعها في غير أسلوب القرآن الكريم الذي أعجز الفصحاء وفاق أساليب البلغاء.

وتكمن أهميَّة البحث في استخراج النَّواحي البلاغيَّة من الآيات القرآنيَّة، مستعينة بالله ثم بالمنهج التَّحليليِّ في دراستي والذي يعتمد على تطبيق علوم البلاغة الثَّلاثة، ليظهر أسلوب القرآن المتفرِّد في نَظْمِه، البديعِ في تأليفه، ذلك الأسلوب الفذُّ البليغ الذي لا يُدانيه أسلوبٌ بشري، وسيبدو من خلال (علم البيان) فنونه المتعدِّدة التي انطوتْ عليها الآياتُ كالتَّشبيه، والاستعارة، والكناية، والتَّعريض، وسيتوجَّه (علم المعاني) إلى ما خَفِي من أسرار تركيب الجملة وما كان فيها من دقَّة التَّقديم أو التَّأخير، وبلاغة التَّعريف أو التَّنكير، وأهمِّيَّة الذِّكر أو الحذف، وجمال الإيجاز أو الإطناب، والفصل أو الوصل وما إلى ذلك.

ولا يفوتني هنا أن أُشير إلى ما سيُضيفه (علم البديع) من استخراج المكنون من حلى الآيات اللَّفظيَّة والمعنويَّة، كـــ: الجِنَاس، والطِّباق، والسَّجع، والمشاكلة، والمقابلة، وغيرها، كما سيُظهر البحث من منظور بلاغيٍّ أهميَّة خُلق التَّواضُع وانعكاساته على الفرد والمجتمع، وأهمِّيَّة التَّواضُع للفرد المسلم، ووجوب التَّحلِّي به، والتَّخلِّي عن الكِبر والعُجب والغرور، وتضافر الآيات الكريمة الدَّالَّة على الأمور التي تدلُّ على التَّواضُع وكيفيَّة اكتسابه.

ومن خلال الآيات التي سيتناولها البحث بالتَّحليل والدِّراسة ستتجلى قيمة العفو لتوجِّه إليه رغم القدرة على العقوبة، لتبدو بذلك قدرة الفرد على التَّحكم في ذاته قدرةً عالية، تلك القدرة التي يستحقُّ بها أرفع الدَّرجات في الدُّنيا والآخرة.

كما يهدف البحث إلى تسليط الضَّوء على خُلُقَي: العفو، والتَّواضُع بين النَّاس من خلال الآيات القرآنيَّة ضمن تحليل بلاغيَّتها بتوظيف علوم البلاغة الثَّلاثة؛ لبيان أثرها الفعَّال في إبداع النَّظْم، وبلاغة التَّركيب، فضلاً عن فصاحة اللَّفظ، ودقَّة موقعه في السِّياق.

أمَّا عن الدِّراسات السَّابقة فلا شكَّ إن المعجزة البيانيَّة للقرآن الكريم محطُّ اهتمام وعناية العلماء والدَّارسين منذ البدايات الأولى التي توجَّه فيها هؤلاء إلى كتاب الله يتدارسونه، ويحاولون الكشف عمَّا غمُض من معانيه أو التبس على أفهام الناس منه، ولكنَّ هذه اللَّمحات البيانيَّة والإشارات البلاغيَّة كانت منثورة إمَّا بين كتب التَّفسير التي نشط فيها التَّصنيف في ذلك الوقت، كتفسير القرطبيِّ: (الجامع لأحكام القرآن)، والزَّمخشريِّ: (الكشَّاف)، وتفسير أبي حيَّان الأندلسيِّ: (تفسير البحر المحيط)، وإما بين الكتب التي توجَّهت للذَّبِّ عن كتاب الله جلَّ وعلا من خلال تناول وجوه إعجازه، ككتاب: (إعجاز القرآن) للباقلاني، و(دلائل الإعجاز)

للجرجاني، أو تلك التي صُنِّفت لدراسة علوم القرآن على وجه العموم، مثل: (البرهان في علوم القرآن) للزَّركشي، و(الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدِّين السِّيوطيِّ.

أمَّا في العصر الحديث، فقد كان الالتفات إلى هذه المعجزة البيانيَّة أكبر، حيث أُفردت مؤلَّفات لهذا الغرض، منها ما اتَّجه نحو محاولة إعداد تفسيرٍ بيانيٍّ مُتكامِل للقرآن الكريم، وتأتي جهود عائشة عبد الرحمن (بنت الشَّاطئ) في مقدِّمتها؛ حيث أصدرت كتابًا بعنوان: (التَّفسير البيانيُّ للقرآن).

وثمة جهودٌ أخرى توجَّهتْ نحو تفسير سور بعينها بيانيًّا، أو اختيار آيات معيَّنة؛ لتكون موضوعًا للدِّراسة الأدبيَّة، والبيانيَّة، والبلاغيَّة، وتأتي ضمن هذه التوجُّهات مؤلفات أ.د، حسن محمد باجودة، منها:

-تأمُّلات في سورة الفاتحة.

-تأمُّلات في سورة البقرة.

-تأمُّلات في سورة آل عمران.

-تأمُّلات في سورة النساء.

-الوحدة الموضوعيَّة في سورة يوسف.

-تأمُّلات في سورة الرعد.

وغيرها.

وكذلك مؤلَّفات أ.د، كامل الدقس، ومنها:

-التَّفسير الأدبيُّ لسورة لقمان.

-التَّفسير الأدبيُّ لسورة الرَّعد.

-دراسة أدبيَّة لنصوص قرآنيَّة مختارة.

أما الدِّراسة البيانيَّة في موضوعات القرآن الكريم فهي قليلة، ذلك لأنَّها تناولت موضوعات محدَّدة، لا سورًا كاملة -كما سبق-، ولا تزال بحاجة إلى مزيد من الإسهامات، وممَّن أدلوا بدلوهم في هذا المجال أ.د، سميرة عدلي رزق، فقد كان لها في هذا المضمار إسهاماتٌ عدَّة، منها:

-دورُ البيان في آيات التَّرغيب في القرآن الكريم.

-دور البيان في آيات التَّرهيب في القرآن الكريم.

-أضواء بلاغيَّة على بعض آيات البِرِّ في القرآن الكريم.

-وجوه البيان في دعاء سيِّدنا إبراهيم عليه السَّلام.

-وجوه البيان في دعاء الأشُدِّ في القرآن الكريم.

-من وجوه البيان في حوار القرآن الكريم.

-من بيان القرآن في وصف الوجوه يوم القيامة.

أما عن خُلُقَي (العفو والتَّواضُع في القرآن الكريم) فلم أعثر على مؤلَّفات اهتمَّتْ بدراسة بلاغةِ النَّظْم في آياته، بل كلُّ ما وجدْتُه في هذا الموضوع كان دراسةً موضوعيَّةً ضمن مجال دراسات الشَّريعة والبحث النَّظري، على خلاف البحث الذي بين أيدينا، والذي يهتمُّ بالدِّراسة التَّحليليَّة البلاغيَّة للآيات الواردة في هذا الموضوع، ومن هذه الدِّراسات:

-التَّواضُع في ضوء القرآن الكريم، بحثٌ تكميليٌّ مُقدَّم لنيل درجة الماجستير، إعداد الطَّالب: صالح حسن علي مهدي، إشراف الدكتور: عبد اللطيف هائل، جامعة الإيمان، الجمهوريَّة اليمنية، قامت هذه الدِّارسة لتوضيح خلق التَّواضُع في القرآن الكريم، وإبراز بعض الأمور والأساليب التي تسهم في معرفة خُلق التَّواضُع ونشره في المجتمع، ومنهج البحث هو الرجوع إلى القرآن الكريم؛ لجمع الآيات التي تحدَّثتْ عن التَّواضُع واستنباط دلالاتها المختلفة من خلال الرُّجوع إلى كتب التَّفسير المُعتمَدة، والاستفادة من جهود المفسِّرين في ذلك، والرُّجوع إلى كتب السُّنَّة النَّبويَّة والسِّيرة؛ لجمع الأحاديث الواردة عن سيِّدنا محمد ﷺ التي تحدَّثتْ عن التَّواضُع، ومواقفه العمليَّة، واستنباط معانيها ودلالتها المختلفة من كتب شروح السُّنَّة النَّبويَّة.

-المُستخلَص في تزكية الأنفس لسعيد حوَّى، دار السَّلام للنَّشر والتَّوزيع والتَّرجمة، يقدِّم هذا الكتاب نظريَّة متكاملة في تزكية الأنفس تستمد الكثير من مادَّتها من كتاب: "إحياء علوم الدِّين" بعد تنقيح وتهذيب وإعادة ترتيب، وقد انصبَّ كلام المؤلف فيه على وسائل التَّزكية وكيف تؤدَّى على الوجه الأكمل، وعلى مقامات القلوب وأمراضها وأخلاقها الصَّالحة، وعلى أدب العلاقات، وكلُّ ذلك مرتبط ارتباطًا مباشرًا بتزكية الأنفس.

-خلُق المسلم لمحمد الغزالي، دار الرَّيَّان للتُّراث-القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ، يستند الكتاب على نصوص من الكتاب والسنة توجِّه المسلم إلى الفضائل التي يتمُّ بها دينه، وقد مهَّد لها المؤلِّف وعقَّب عليها بتفاسير موجزة، واكتفى بالنُّصوص القرآنيَّة والنَّبويَّة، ولم يستطرد إلى إيراد الشَّواهد الأخرى من أقوال الأئمَّة، قاصدًا بذلك العَودة إلى الشَّريعة وحدها، وأنْ يعرض جانب التَّربية منها على أنَّه توجيهٌ إلهيٌّ يُطالَب المسلم بالتزامه.

-العلاقات الإنسانيَّة لسيِّد عبد الحميد مرسي، مكتبة وهبة للطِّباعة والنَّشر، ط١، ١٩٨٦م، انتهج فيه المؤلِّف مناقشة المفاهيم الأساسيَّة للعلاقات الإنسانيَّة في إطار العقيدة الإسلاميَّة، وشرَحَ الجوانب الأساسيَّة للعلاقات الإنسانيَّة من حيث تطوُّرها وعلاقتها بالعلوم السلوكيَّة وتطبيق مفاهيمها الأساسيَّة في قطاع الإنتاج، ثم ناقش الإسلام والعلاقات الإنسانيَّة من حيث الأخلاق الفاضلة وحسن السلوك، والمعاملات بين الأفراد، مستندًا في بحثه على

إبراز الجوانب العلميَّة للموضوعات من وجهات النَّظر المختلفة، ثم ذكَر الآيات والأحاديث المتعلِّقة بهذه الموضوعات حتى يؤكِّد إن الأصل والمَنشأ هو الشَّريعة الإسلاميَّة.

وكما ذُكر آنفًا؛ سيكون منهج الباحثة هو المنهج التَّحليليُّ القائم على توظيف علوم البلاغة الثَّلاثة: (البيان، والبديع، والمعاني)، لدراسة الآيات وبيان قيمتها البيانيَّة العالية، مرتكزًا على النِّقاط التَّالية في دراسة كلِّ آية:

١-المعنى العام، مع سبب النُّزول إن وُجد.

٢-مناسبة الآية وارتباطها بالسِّياق.

٣-دراسة التَّراكيب، وبيان دقَّة الألفاظ، وبلاغة نظمها.

هذا وقد وُضع البحث في مقدِّمةٍ وتمهيدٍ وفصلَيْن اثنَيْن وخاتمة.

احتوتْ المقدِّمة على أسباب اختيار الموضوع، وأهمِّيَّته، ودوافع البحث فيه، مع ذكر الدِّراسات السَّابقة عن الموضوع ثم منهج الدِّراسة.

وذُكر في التَّمهيد:

-التَّعريف بالعفو والتَّواضُع في اللُّغة.

-ثم مفهوم العفو والتَّواضُع في القرآن الكريم.

أمَّا الفصل الأول فيشتمل على مبحثَيْن:

-المبحث الأول: دراسةُ الآيات التي جاءت في الحثِّ على العفو وبيان ثوابه.

-المبحث الثاني: دراسة الآيات التي جاء العفو فيها بمعنى الصَّفح أو مقترنًا به، أو بمعنى الإعفاء.

الفصل الثَّاني، ويشتمل على مبحثَيْن:

-المبحث الأول: دراسة الآيات التي وجَّهتْ إلى التَّواضُع.

-المبحث الثاني: خصائص النَّظم القرآنيِّ في آيات العفو والتَّواضُع.

وكانت نهاية مطاف البحث في خاتمته التي اهتمَّت ببيان أهم النَّتائج والملحوظات التي سيتم التَّوصل إليها من خلال الدراسة.

وبعد، فهذا جهد المُقل، والله تعالى يكفل بالتَّمام، وهو الهادي إلى سواء السبيل.